# المبحث الاول
# العناصر العامة المكونة للمكاتبات الديوانية

تعــدّ صــناعة الإنشــاء، او كِتابة الرســائل من أجّل الصــناعات وأشرفها رفعة واعلاها منزلة عند العرب منذ اقدم العصــور، ومنذ ان اصبح لهذه الصنعة ديوان خاص يعمل فيه رجال الصنعة الكِتابية ممن اشتهر بالانشــاء والترســل، فكتبــوا في جميع شــؤون الدولة ومنــاحي الحياة ومرافقها المختلفة،وقد ازداد اهتمام اولي الامر من اهل الحل والعقد بهــذه الوظيفــة، حــتى عُــرف الــديوان بأســمهم،فكــانت من وظائف الدولة المهمة التي ارتكــزت عليها الادارة في تقــويم سياسة الدولة الداخلية وتنظيم علاقاتها الخارجية من المركز الى الاطـــراف وبــالعكس0ولهــذا حظيت وظيفة كــاتب الانشــاء بالجــاه والمكانة عند الخلفاء والسلاطين والامراء سواسية من جيلٍ الى اخر0

بداية نقــول، ان صــنعة الكِتابة في كل عصر بقــدر ما ارتبطت بمتــولي الــديوان بحاجة الى أدوات يجب توافرها لكي يصــبح الكــاتب المكلف بتحرير اي كِتاب ديــواني كامل الجــودة [أي في الاداء]، فلابد من المعرفة بالاســماء العربيــة، وتصــحيح الالفــاظ وإصــابة المعــنى، ومعرفة الحســاب والأزمنة والشــهور[1] والبلاغة [2] والإيجــاز بالألفــاظ

---

[1] (?) قدامة بن جعفر، الخراج وصنعة الكِتابة، ص26؛ العسكري، الصــناعتين، ص160.

[2] (?) تعني البلاغة هي ان يصل الكلام ومعناه الى القلب قبل ان يلفظه السمع والبلاغة عند النويري ثلاثة مذاهب: المساواة بمطابقة اللفظ المعــنى لا زائــدا ولا ناقصا وهو الاشارة بلفظ والدليل باعــادة الالفــاظ المترادفة على المعــنى الواحد يظهـــــره لمن يفهمه ويتاكد عند من فهمــــــه. فلبلاغة اللفظ والخط والاشــارة والدلالــة، ولكل له وجهه منها له خط من البلاغة والبيــان وموضــوع لايجوز فيه غيره، ورب اشارة ابلغ من لفظ، وقد تكــون تعــني معرفة الوصل من الفصل اي لايؤثر القائل من سوء فهم السامع ولا يؤتي السامع من ســوء بيــان القائــل. انظر نهاية الارب، جــ7، ص ص7-9 وكــذلك قدامه بن جعفــر، الخراج وصنعه الكِتابة، ص ص26–30، ابن عبد ربه، العقد الفريد، جـ1، ص

البليغة الدالة على القصد في جـمع المعـنى مـن الكثـير فـي اللــفظ القليل، والولاء من الكاتب لصاحب الـديوان[1] وهنـاك اتفـاق بين اهل هـذه الصـنعة، هو ان يكـون كلام (الكِتـاب او الرسـالة) منطبقا على المعـنى، لا يفصل عنـه، وما ينبغي ان يعتمد في دليله مبـني على ما في القرآن الكريم من آيات كثيرة[2]، وهي كانت الاساس الـذي سـار عليها الكُتّـاب فيما بعد في معـرفتهم لفن البلاغـة، واختيـار المعـنى الحـرفي للصـنعة، من خلال اختيـار الفـاظ نقية مسجوعة تجمع فيها محاسن الصـــــورة وزينة الحلي[3]، ومن مســـــتلزماته ايضا انه لابد للكاتب من ان يحـرص في مكاتباته على معرفة الفـرق بين الالفـاظ المستعملة فيها فيخاطب افراد كل طبقة بما يسـتحقه من الخطـاب، وبما يقتضـــيه مقامه[4]، وان يســـتعمل في مكاتبته لكل فريق على مقــدار طبقتهم في فهم الكلام[5]0وكــذلك لابد للكــاتب ان يــراعي

150.

[1] (?) ابن شيث، معالم الكِتابة، ص ص61-62، النويري، نهاية الارب، جـ 7، ص ص1-11

[2] (?) اورد لنا القران الكريم الكثير من الشـواهد على هـذه الصـنعة منها قوله تعـالى: ﴿وَاسْـأَلِ الْقَرْيَـةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾، من سـورة يوسف اية (82)، وقوله تعالى ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ من سورة الاعراف اية (199)، وقوله: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْـمِ اللَّهِ الـرَّحْمَنِ الـرَّحِيمِ ﴿أَلَّا تَعْلُـوا عَلَيَّ وَأْتُـونِي مُسْـلِمِينَ﴾ من سـورة النحل اية (30-31)، وقد جمع فيه بين الكتاب والحاجة والبلاغـة، وفي قولـه: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَـاؤُكُمْ فِي الْحَيَـاةِ الـدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُـكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَـدَّعُونَ ﴿ نُـزُلاً مِّنْ غَفُـورٍ رَّحِيمٍ ﴾ من سورة فصلت اية (31-32)، ففيها الاباحة ورفع المؤاخذة.

[3] (?) العسـكري، الصـناعتين، ص160؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، جــ2، ص 215؛ ابن شيث، معالم الكِتابة، ص ص61 – 65.

[4] (?) جـرت العـادة ان يخـاطب المكتـوب بمقـدار درجته او رتبته واهميته في الدولة فاذا كان خليفة يخاطب بـاللقب الـذي مُنح له، فالخليفة يقـول (جـرى امر امير المؤمنين في كذا على كذا وكذا) واذا كان سـلطان فيقـول (المجلس العالي) واذا كان ديـوان يخـاطب بالـديوان العزيـز. للمزيد عن هـذه العـادات انظر العسكري، الصناعتين، ص164؛ ابن شيث، معـالم الكِتابـة، ص ص40-42؛ العمري، التعريف، ص ص16-21؛ النويري، نهاية الارب، جــ7، ص ص 185-188؛ القلقشـندي، صـبح الاعشى، جــ6، ص ص280 – 283،293– 294، 300 – 306.

[5] (?) ودليلهُ مكاتبات الرسول (ﷺ) الى الملوك والامراء خارج الجزيـرة العربية، فعند مكاتبته لاهل فـارس لما اراد ان يعـرض عليهم الاسـلام او الحـرب كتب

المناسـبة الـتي كُتبت بها الرسـالة او الكِتـاب لان لكل مناسـبة لها اصول وقواعد معينة في ترتيب سطورها داخل الكِتاب الواحد الصادر عن الملوك او السلاطين، او عن مرؤوسيهم، خاصة بملاقاة عـدو، او نصر بفتح، او لشـكر نعمة اسـبغها السـلطان على رعايـاه، او للتهنئة بمجيء مولـود ولد[1]، ولا يجـوز اسـتعمال ما اتت به آيـات القـران الكريم في الرسائل من الاختصار والحذف، ومخاطبة الخاص بالعـام، ومخاطبة العـام بالخـاص، وأن يتجنب اللفظ المشـترك، والمعـنى الملتبس[2]، لان القرآن الكريم خاطب قوم فصحاء فهمـوا عنه امـرهُ ونهيهُ،اما الرسـائل فيخـاطب بها عامة قـوم دخلاء على اللغة لا علم لهم بلسان العرب[3]0فلابد من تفسير المعـنى وشـرحه، وهـذا عكس ما يمكن ان يستخدمه الكاتب من الاشعار والتي تجيز له فيها التقديم والتاخير والحذف[4].

وما يخص عناصر الكِتاب وفقراته، لابد لاي كِتاب او رسـالة من مقدمة تكـون داعية لاسـتماع ما بعـده من القـول والمقاصد وراء مباشرة الخطاب الى صاحب الشأن بيانه في الكلام[5]، ويشـترط هنا

اليهم بما يمكن ترجمته اليهم، ولما اراد ان يكتب لقـوم من العـرب فخم في اللفظ لما عرف عنهم من قوتهم على فهمه ولاعتيادهم على سماع مثل هـذا الكلام. لمراجعة نص هـذين الكتـابين انظر العسـكري، الصـناعتين، ص ص 161–164؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ7، ص ص296 – 297.

1 (?) إذا كان الكِتاب صادرا في اوقـات حركـات العـدو ليعلمهم بالحركة للقـاء العـدو فيبسط فيه الكـاتب القـول في وصف العـزائم وقـوة الهمم وشـدة الحمية وكـثرة العسـاكر والجيـوش.. وفي كتب التهـاني بـالفتوح فيعمد الى بسط الكلام والاطنـاب وشـكر نعم الله والتـبرؤ من الحـول والقـوة إلا به ما أعطى من نصـر.... للمزيد عن معرفة هـذه الشـروط انظر النويري، نهاية الارب، جـ7، ص ص191–201؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ6، ص ص315 – 322.

2 (?) النـويري، نهاية الارب، جــ7، ص ص186 – 187؛ القلقشـندي، صـبح الاعشى، جـ6، ص306.

3 (?) النويري، نهاية الارب، جـ7، ص187؛ القلقشـندي، صـبح الاعشى، جــ6، ص ص307 – 312.

4 (?) النويري، نهاية الارب، جـ7، ص188؛ القلقشندي، صبح الاعشـى، جــ6، ص ص311 – 312.

5 (?) القلقشندي، صبح الاعشى، جـ6، ص ص274 – 275.

ان يكون الكلام سهل اللفظ،دال على الوضوح في المعنى والصحة في السبك وتجنب الحشو ويقول القلقشندي بهذا الصدد: **(ان على الكاتب أن يبدا بالتحميد لله والثناء على صاحب الشأن،ثم السلام والتعظيم)**[1] لان النفوس تتشوق الى الثناء على الله تعالى0ويقول ابن شيت في ذلك **(التحميد في اوائل الكُتب لا يكون إلا في الكُتب المكتوبة عن السلطان،وعليه عظمة الكاتب وان يكرر التحميد ثانية في الكِتاب، ثم يذكر الشهادتين، ويصلي على محمد ويقول اما بعد)**[2]، وكذلك قد يبدأ الكِتاب بالدعاء فيدعوا بكل دعاء في موضعه،فلا بد من معرفة مرتبة المكتوب اليه ليدعو له في الكِتاب بما يُناسبه[3]0

اما الجزء الثاني من الكِتاب فهو المتن، الذي سبق ان اوردنا في بداية الفصل شروطه بصوره عامة 0 ثم نصل الى أواخر الكِتاب الذي اشترط فيه على نحو ما في المقدمة، السهولة في اللفظ، وحسن السبك، ووضوح المعنى، وتجنب الحشو، ويختمها بالدعاء له[4]. وفي نهاية الكِتاب يسجل تاريخ كِتابته، وبدقة متناهية فيقول: **(بعد ان شاء الله تعالى وكتب لاربع خلون او لاثنتي عشرة ليلة خلت ولثلث عشرة ليلة.....)**[5]0

ويراعى عند الكِتابة ايضا مقدار حجم الخط الذي يُكتب فيه المكاتبات إذ اختلف من رتبة الى اخرى، فالخط الغليظ والحروف الكبار لايكتب بها الادنى الى الاعلى، بل كلما غلظ الخط وسعت سطور الكِتاب كان أنقص في رتبة المكتوب اليه[6]0ولا يترك في

---

1 (?) صبح الاعشى، جـ6، ص278.
2 (?) معالم الكِتابة، ص48.
3 (?) المصدر نفسه؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ6، ص284.
4 (?) ابن شيث، معالم الكِتابة، ص ص49 – 50؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ6، ص312.
5 (?) ابن شيث، معالم الكِتابة، ص ص51–52؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ6، ص ص244–251.
6 (?) ابن شيث، معالم الكِتابة، ص ص40، 47.

الكِتــاب فضــلة بيــاض[1]، ولا يكتب في حواشي الكٌتب اذا كــان هــذا صادرا من الادنى للاعلى[2]، وعن مقدار قطع الورق الخـاص بالكِتـاب الـديواني سـواء في مصر او الشـام، فقد اختلف بـاختلاف المكتـوب اليــه، فكلما عظم قــدر المكتــوب اليه عظم معه مقــدار حجم قطع الورق[3]0

اما في النهاية فلا يجوز ان يبقى الكتاب مفتوحا فيطوى بمقدار عــرض اربعة اصــابع اذا كــان صــادرا عن الســلطان او اصــبعين لمن دونه[4].

## المبحث الثاني
## المكاتبات في مصر والشام منذ عصر الطولونيين الى نهاية حكم الأيوبيين

ان المكاتبات والرسائل شملت العمل الرئيس لديوان الانشــاء، وقد تعــددت الــوان تلك المكاتبــات بتعــدد مصــالح الدولة ومنازعاتها

---

1 (?) ان مقدار البياض في كُتب السلطان قبل البسملة يختلف بـاختلاف قطع الورق، فكلما عظم قطع الورق كان البياض فيه اكثر فالورق البغـدادي يـترك فيه ستة اوصال بياضا وتكتب البسـملة في اول السـابع وقطع الثلـثين يـترك فيه خمسة اوصـال وقطع النصف يـترك فيه اربع اوصـال، وقطع الثلث يـترك فيه ثلاث اوصـال، وقطع المنصـوري، والعـادة يـترك فيه ثلاثة اوصـال، او قد يـترك فيه وصـلان، بحسب ما تقتضـيه الحالـة. وهـذه الاحجـام شـملت قطع الــورق المســتخدم في الشــام (الــورق الشــامي)انظر القلقشــندي، صــبح الاعشى، جـ6، ص ص195 – 196.

2 (?) لايجــوز ان يكتِب في حواشي الكُتب سـطرا واحـدا بطـول الكِتـاب لانه مستقبح ولا يليق بكُتب الملـوك والسـلاطين ولاحـتى يكتب على ظهر الكُتب. انظر ابن شيث، معالم الكِتابة، ص49؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ6، ص 314.

3 (?) القلقشندي، صج الاعشى، جـ6، ص ص190 – 193.

4 (?) ابن شيث، معالم الكِتابة، ص46.

ومناسـباتها وتقلب الاحـوال فيها، لـذا سـميت هـذه الرسـائل بأسم المناسـبة الـتي كُتبت فيها، فكـانت منها المناشـير والتواقيع والتقاليد والرسـائل والكُتب والمكاتبـات والملطفـات، وخضـعت جميعها تحت اسم واحد هي الرسـائل او المكاتبـات الديوانيـة، نسـبة الى المكـان الـتي تصـدر منه عن لسـان الخلفـاء والسـلاطين والامـراء والنـواب والولاة والوزراء وغيرهم ممن يكُتب عنهم الديوان مكاتباته0

قبل الخوض في الحديث عن انـواع هـذه المكاتبـات والرسـائل للمؤسســات الإدارية وما يجب ان تكتب فيها من عبــارات والفــاظ تتناسب مع المناســبة الــتي كُتبت من اجلها، لابد من التعــرف على طبيعة الكِتابة الانشــائية للكُتب والرســائل في بغــداد، مركز الخلافة العباسية التي ورثتها عنهم مصر0

اختلفت الكِتابة الانشائية في مصر والشـام عما كـانت عليه في بغـداد،مركز الخلافة العباسـية،فكـانت الرسـائل الديوانية الـتي تنطق عن لســان الخليفــة، ويكتبها بأســمه صــاحب ديــوان الانشــاء في مناسبات الدولة الرسمية، تعـدّ من اهم الرسـائل الـتي وضـعت فيها معــايير الــديوان الاساســية بالكِتابة الخاصة بالبــدء والمتن والختــام والاهتمام بذكر الادعية والالقاب التي تناسب كل طبقة او شخص من أهل الأعمال التي ترسل له المخاطبات0 وكانت أساليبهم في الكِتابة سائرة على نفس نهج رسائل الرسول الكــريم() [1] في جزالة اللفظ

---

(1) كانت وسائل التعبير في عهده () هي الرسائل الخطية والاحـاديث لنشر الــدعوة والنهــوض باعبائها وقد اتســمت خطب الرســول() واحاديثه ما بين الطول والقصر وجمع فيها وجيز الكلام وسهولة اللفظ وقوة التركيب ووضوح المرمى جانحاً في احيـان اخـرى للسـجع، ثم زاد على الخطبة نـوع آخر وهي الرســائل الــتي كــان يبعثها الى اهل الكفر للــدعوة الى الاســلام. وهــذه= =اتسمت بذكر الاسم، في بداية الكِتاب ثم السلام، واما بعـد، و قد تبـدأ بأما بعد او هذا كِتاب، كما في كُتبه التي كان يرسلها الى رعاياه في كافة اراضي الاسلام. مثل الكِتاب الـذي ارسل الى خالد بن الوليد في جـواب كِتابه اليه (

وعذوبة الأسلوب وجمال التصوير0وقد سار عليه الخلفـاء الراشـدون (رضـوان الله عليهم) من بعـده مع بعض الاضـافات الجديـدة[1]، ثم تبعهم الامويون الذين ظهر بينهم عدد من الكُتّاب الذين كـانوا يملـون الرســائل عن الخلفـــاء. ومن هنا سُـــميت كِتابة الرســائل بالكِتابة الإنشائية، وسمي كُتّابها المنشئين (مفرد منشـيء)، فكـانت الاسـاس لما انشيء بعده من دواوين[2] وظل وجوده وريثا ذا تقليد صالحٍ متبـعٍ عند العباسيين، يتطلع الى مناصبه ذوا الكفاءة من الأدباء[3]0

بلغت الكِتابة الانشــــــائية في العصر العباسي الى ذروة القمة والمجد في البلاغة وســمو المعــاني والحنكة في الاســلوب، وتعـــدد اصـناف الرسـائل والمكاتبـات الصـادرة عن الـديوان، نعـني(ديـوان

---

() باسلام الحارث، وكِتاب آخر الى وائل بن حجر من اهل حضــرموت، وكِتابه الى هرقل قيصر الـروم وآخر الى كسـرى ملك الفـرس. لمراجعة نص هـذه الكُتب وكُتب اخرى بنفس المعنى انظر القلقشندي، صبح الاعشى، جـ6، ص ص365 – 382.

(1) كانت سمات كتبهم كما في عهد الرسـول ()، ولاسـيما وانهم في عهـده كانوا كُتّابه وخُطّابه، وبعد وفاة الرسول وخلافتهم للدولة الاسلامية زادوا على ما كان عليه بزيادة كلمة خليفة رسول اللـه() مثل ما كتبـهُ ابو بكر الصـديق الخليفة الراشدي الاول () الى اهل الردة حين ارتدوا عن الاسـلام بعد وفـاة النبي(). ونص هذا الكِتـاب انظر الطـبري، تـاريخ الامم والملـوك، جــ3، ص 226؛ الـذهبي، العـبر في خـبر من غـير، جــ2، ص70؛ القلقشـندي، صـبح الاعشى، جـ6، ص ص384– 389.

(2) ظلت المكاتبــات على ما ســنه الاولين الى خلافة الوليد بن عبد الملك ( 86–96هـ/705–715م) الــذي جـــود القـــراطيس وجلل الخطـــوط وفخم المكاتبـات، وفي خلافة عمر بن عبد العزيز (99–ـ 101 هـ/717 – 720 م) وخلافة يزيد بن الوليد (101–105هـ/720 –724م) حيث اعــادا المكاتبــات والرسائل على ماكان من قبل في مكاتبات الرسول () والخلفـاء الراشـدين (رضــوان الله عليهم)، وفي خلافة مــروان بن محمد (127–132هـ/744 – 750 م) ظهر كاتب جليل قـدير مـزج بين الثقافة الفارسـية لاصـله الفارسي والثقافة العربية للدولة التي خـدم فيها فاتسـمت مكاتباته بالإطالة والأطنـاب وتنوع في عبارات البدء والختـام بما يناسب موضـوع الرسـالة. للتعـرف على امثلة من هذه المكاتبات في العصر الاموي انظر النويري، نهاية الارب، جــ7، ص ص 237 – 254؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ6، ص ص389 – 391.

(3) محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك،ص ص47 – 49.

الانشـاء، او ديـوان المكاتبـات)، فكـان منها بيعـات الخلفـاء، واوليـاء العهود، وعهود الولاة والقضاة، والمنشـورات السياسـية، الى غيرهـا، مما يسـتلزمه ضـبط امـور الدولة وحاجاتها 0 وقد اتسـمت فضلا عما كـان عليه ايـام الامـويين بصـيغة جديـدة هي تقـديم الاسم والكنية واللقب، إذ يُقـدم الاسم على الكنيـة، او قد يُقـدم الكنية على اللقب على نحو: **(من عبد الله فلان الى فلان الامام الفلاني امـير المؤمنين)**[1]0

ان الكِتابة الانشـائية، او كِتابة الرسـائل والمكاتبـات في مصر والشـام، كـانت وريثة لمكاتبـات العباسـيين في بغـداد، ومع ان مصر اسـتقلت عن دار الخلافة على يد احمد ابن طولـون سـنة 254 هـ/ 868 م، واصبحت امارة مستقلة في غـرب دار الاسـلام،الا انها تبنت على الـرغم من ذلك الاسـلوب الادبي نفسه لكِتابة الرسـائل والكُتب المتبعة عند العباسيين، ولاسـيما ان اغلب الكُتّـاب الـذين ظهـروا في عهدهم القصير كانوا وافدين من بغداد، وابرزهم ابن عبد كان[2]الـذي مَزَج في كِتاباته السجع، وقصر فقراته، واسـتخدم شـيئا من الازدواج والاقتبـاس بـالمفردات بما يناسب حالة الكِتـاب، الامر الـذي لا يمكن تفريقه عن كُتّـاب بغـداد0إذ يبـدأ عند تحرير الكِتـاب يـذكر اسم المكتوب عنه،ثم اسم المكتوب اليه، ثم السلام والتحميد،مثل الكِتاب الذي كتب عن احمد ابن طولـون الى ولـده العبـاس حين عصى عليه الطاعة في الاسكندرية منذرا وموبخا له على فعله[3]، وقد نهج امراء

1) للمزيد عن معرفة المكاتبـات الـتي كـانت تـدور بين الخلفـاء ووزرائهم وعمالهم وولاتهم في الاقاليم فضلا عن كُتب كتبها البويهيين والسلاجقة. انظر القلقشندي، صبح الاعشى، جـ6، ص ص392 – 420

2) هو احمد بن محمد بن مودود المعروف بـابن عبد كـان الكـاتب البليغ من امثل كُتّاب مصر عند الطولونـيين، رفع شـأن الكِتابة فيها وقد أثـرت رسـائله الـتي اشـتهرت في ديوانـه. للمزيد عن سـيرته انظر ابن الدايـة، سـيرة ابن طولون، ص ص15 – 20.

3) القلقشندي، صبح الاعشى، جـ7، ص ص5 – 10.

الاخشـيديين من بعـدهم الاسـلوب نفسه بما قد تفتتح به الرسـائل والكُتب، او قد تُختم به عند الطولونيين لقرب المسافة بين العهـدين، فضلا عن ضـعف صـوت الـديوان ايـامهم، وبـروز الـوزير وممارسـته للكِتابة في شؤون الدولة السياسـية، وكـذلك الـذين كتبـوا عن اخبـار الدولة هـــذه لم يشـــيروا كثـــيرا الى كُتّابها[4]. فيمكن القـــول ان الطولونيين والإخشـيديين الـذين حكمـوا مصر معلـنين اسـتقلالها عن سـلطة الحكومة المركزية في بغـداد اتبعـوا التقاليد الإدارية السـائدة في مركز الخلافة ببغــداد بمــوجب اســتطاعتهم التوفيق بمــرونتهم السياســية بين شــريعتهم ولغتهم من جهة وبين النظم العربية الــتي عدلها السنون من جهة اخرى[1]0

بقدوم المعز لدين الله الفاطمي من المغـرب الى القـاهرة في سـنة 358هـ/968م وبمجـرد اسـتقراره فيها بعد الفتح الـذي تحقق للقائد جــوهر الصــقلي، اصــبحت في مصر مركز خلافة جديــدة هي الخلافة الفاطمية، ومع ذلك تبنت، مكاتباتهم ورسائلهم السياق نفسه في محتوى المكاتبات الصـادرة عن الخلفـاء العباسـيين في بغـداد اذ كــانت هــذه المكاتبة تســتفتح بالبســملة والحمدلــة، ثم يــأتي اسم المكتوب عنه، وهو الخليفة، او يكتب أسمه مسبوق بنعت **(عبد الله ووليه)** لاظهـار الخضـوع للـه، والايمـان الصـادق لـه، ثم يـأتي لقبه **(امام)**[2] **،** وبعده لقبه المعروف **(امير المؤمنين)**، ثم يذكر اسم

---

4) محمود رزق، عصر سلاطين المماليك، ص ص70ـ 71، محمود مصطفى، الادب العربي في مصر، ص ص190 – 192.

1) سـيده إسـماعيل كاشـف، مصر في فجر الاسـلام من الفتح العـربي الى قيام الدولة الطولونية، ط1(القاهرة: د. مط، 1947م)، ص20.

2) اتخذ الفاطميون الألقاب العامة التي كانت مستعملة في الدولة العباسـية (كــأمير المؤمـــنين) و(الامـــام)، واتخـــذوا ايضا القـــاب فخرية خاصة بهم (كـالمعز)و(العزيـز)و(الحـاكم)، واتخـذواالوزراء والكتـاب القـاب خاصة لهم منحهم اياه خلفاؤهم الفـاطميون. للمزيد عن القـاب الفـاطمين انظر حسن الباشا، الالقاب الاسلامية، ص ص66 – 71.

المرسل اليه، ولقبه ولقب ابيــه، ويــدعو لــه، ثم تليها **(اما بعــد)** والحمد مرة ثانية، ويبدأ موضوع الكِتاب[3]0اذا كان الكِتاب صــادر عن الخليفة الفاطمي على نحو مـايرد فيه نص كِتـاب كتبه الخليفة العزيز بالله (365–386 هـ/975–996م) الى عامله في مصر يبشره بالفتح حيث خرج لقتال القرمطي في الشام سنة 367 هـ/977م [4]، وكِتاب آخر كتبه الخليفة المنتصر بالله الفــــــاطمي (427–487 هـ/1035–1094م)، الى الامير علي بن محمد الصليحي جوابا عن كِتابه يخــبره فيه بإنتصاره في مكة[5]0

اما اذا كانت المكاتبات صـادرة عن ولاة وامـراء الفـاطمين الى خلفائهم فيقول الكاتب في الكِتاب: **(افضل صلوات الله وبركاته واشرف رضوانه وتحياته على مولانا وسيد الامـام الفلاني امير المؤمـنين وعلى ابائه الطـاهرين وابنائه الاكـرمين،او المنتظــــرين اذا لم يكن له اولاد)** [1]،ثم يقــــول**:( كتب عبد الموقف النبــوي خلد الله ملكه من مقر خدمته ناحية كــذا وامور ما عـرف به ورد اليه نظـره منتظمة بسـعادة مولانا امـير المؤمـنين، صـلوات الله عليه وعلى جـده والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله الطاهرين وسلم تسـليما)**[2] 0 ثم يقـول**:(العبد ينهى كـذا وكـذا)**، وينص الفــرض الــذي بين الكِتــاب على انهائه ســواء كــان مطالعة خــبر او معرفة بعض الاحوال0

---

3) القلقشــندي، صــبح الاعشــى، جــ6، ص432 وانظر عبد المنعم ماجــد، السجلات المستنصرية، ط 1(القاهرة: د. مط، 1954م)، ص34.
4) القلقشندي، صبح الاعشى، جـ6، ص ص433 – 439.
5) عبد المنعم ماجد، السجلات المستنصرية، ص36.
1 (?) القلقشندي، صبح الاعشى، جـ7، ص ص76-78.
2 (?) المصدر نفسه، جـ7، ص ص78 – 79.

اما اذا كـــان الكِتـــاب صـــادرا عن وزرائهم الى من دونهم من الرؤساء مع مراعـاة مقـدار المخـاطبين ومـراتبهم في الدولة فيفتتح الكِتـاب: **( كِتابنا والأمر على كـذا)،** ثم يعـرض حالة الخلافـة، ثم مقصود الكِتاب، ويختمه بالدعاء، ككِتاب كتب عن بعض وزراء الخليفة العاضد بالله آخر الخلفاء الفاطميين(555–567 هـ/ 1160–1171م) بخط القاضي الفاضل (ت 596 هـ/1199م)[1] الكـاتب الايـوبي. واذا صدر الكِتاب عن وزراء او امـراء خلفـاء الفـاطميين فكـانت كتابـاتهم تبدأ بالتحميد بمعنى **(الحمد لله)** بدلا **( من عبد الله ووليهِ...)**[2] مثل هذا المعنى نجد كِتابا بالبشارة بالسـلامة والركـوب في غـزوة[3]، ومضـامين بخط الكـاتب الفـاطمي ابن منجب الصـيرفي (ت542هـ/ 1147م)[4]0وكـــانت الاطالة بالتحميد والشـــكر لنعم الله تعـــالى، والصلاة على الرسول () والالتزام بالسـجع، والقـوة في التعبـير من اهم سمات الرسائل الديوانية التي اتسمت بها رسائل الفاطميين0

ونلاحظ في العهد الأيـوبي ان المكاتبـات الديوانية بـدأت تخضع لقيـــود جديـــدة ورســـوم خاصة منذ ان تأصـــلت قواعـــدها في مصر وتوســعت قاعــدتها الى الشــام، فأصــبح تقليــدا متبعا عند كل رئيس

1 (?) المصدر نفسه.
2 (?) ابن منجب، قانون ديـوان الرسـائل، ص ص33، 36، 37؛ القلقشـندي، صبح الاعشى، جـ6، ص ص440 – 441.
3 (? ) ابن منجب، قانون ديوان الرسائل، ص ص44، 49؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ8، ص316.
4 (?) عـــاش أبو القاسم علي المنجب ســـليمان حياته كلها في عصر الدولة الفاطمية يتنقل في اعمال الدولة المختلفة إلى أن اسـتقر في كتابة الانشـاء في ديـــوان الدست الفـــاطمي منذ عهد الخليفة الامر باحكـــام الله أبو علي المنصـور (495-524هــ/ 1101-1130م)، وأنشا رسـائل عن خلفـاء هـذه الدولة إلا ان ما وصل الينا منها قليلة. أنظر عن سـيرته كتابـاه قـانون ديـوان الرسائل والاشارة إلى من نال الـوزارة؛ أبن خلكـان، وفيـات الاعيـان، جــ1، ص ص 88، 112، 157، 343؛ القلقشندي، صبح الاعشـى، جــ8، ص ص 316، 318، 320، 324؛ المقريزي السلوك، جـ2، ص49؛ السيوطي، حسن المحاضرة، جـ2، ص ص14، 131.

رأس الـديوان (ديـوان الدست او ديـوان الانشـاء) أن يضـيف اضـافة جديــدة لرسم الكِتابة لتنسب اليه من دون غــيره، ويحــرص على ان يبقى معمولا به حتى بعد عزله من الـديوان0 ومن هـؤلاء كـان اولهم الكــاتب المعــروف بالقاضي الفاضــل(ت596هــ/ 1199م)[1] كــاتب ديوان انشاء صلاح الدين الايـوبي (596-589هــ/ 1171-1192م)[2]، الذي اشتهر أواخر ايام الفاطميين وقد عمل مع صلاح الـدين الايـوبي في تــدبير شــؤون دولته (الدولة الصــلاحية) فكــان وزيــره وكاتبــه. واكتملت بيــده أداة الكِتابة والتــدبير من علم وأدب وســعة الاطلاع ورجاحة العقل وحسن الفهم، وصــــدرت عنه الكثــير من الرســـائل والمُكاتبـــات، جمع فيها بديباجة مركبة وغنية بـــالمعنى مع روعة في

[1] (?) هو عبد الــرحيم بن علي بن محمد اللخمي المعــروف بالقاضي الفاضل ولد سنة 529هـ/134م. ولد في مدينة عسقلان احدى مدن فلسطين وينحدر من قبيلة عربية هي قبيلة لخم واليها ينســب، وكــان والــده يــدعى القاضي الاشــرف ولي قضــاء عســقلان، ســار القاضي الفاضل الى مصر ليخط منها طريقه في دواوين الدولة فمضى الى ديوان الانشـاء الفـاطمي وكـان يراسه ابن الخلال(ت566 هـ/1170م) فلازمه وتــردد عليه وتــدرب على يديــه، لم تطل مــدة اقامته بمصر حيث رحل الى الاســكندرية واتخــذه قاضي القضــاة فيها ابن الحديد كاتبا له ثم عاد الى مصر وظل يعمل في ديـوان انشـائها الى ان وفد الى مصر عم صـلاح الـدين اسد الـدين شـيركوه بعد هزيمته للفرنجة الصليبيين وولي الوزاره واختاره كاتبا له، ولما توفي اسد الــدين لحق بصــلاح الدين واصبح وزيره ومستشـاره وكـاتب ديوانـه. للمزيد عن سـيرته واعماله الكِتابية انظر ابو شامة المقدسي، الروضتين، جــ1، ص ص130–132؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، جــ1، ص397؛ العمري، مسالك الامصار، جـ7، ص 278؛ السـبكي، طبقـات الشـافعية الكـبرى، جـــ4، ص253؛ ابن العــماد، شذرات الذهب، جــ4، ص325 وكـذلك عـبد اللطيف حــمزة، ادب الحــروب الصليبية، ص ص175–177؛ محمد زغلول، الادب في العصر الايوبي، ص ص 192 – 196؛ احمد احمد بدوي، الحياة الادبية في عصر الحروب الصـليبية، ص ص356 – 360.

[2] (?) هو السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي، ولد بتكـريت في ســنة 532هــ/ 1137م، اشـتهر بانتصـاراته على الصـليبين وتحرير بيت المقــدس، وفي القضــاء على الدولة الفاطميــة. للمزيد عن ســيرته الحربية واعماله الادارية أنظر الاصـــفهاني، الفتح القسي بـــالفتح القدســـي، ص ص 332-335؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ص44، 126، 363، 410؛ أبن خلكان، وفيات الاعيان، جـ7، ص ص139، 218

التصوير، كانت خلاصة ما جمعه عن كُتاب الفاطميين، وما اوحت له البيئة التي يعيش فيها حتى أصبحت كِتاباته المنهج الذي سار عليه الكُتاب من بعده0

وسار من بعده عدد من الكُتّاب على نفس اسلوب القاضي الفاضل من اجل التقرب للعمل في ديوان الانشاء لخدمة سلاطين الأيوبيين، أمثال العماد الاصفهاني (ت597هـ/ 1200م)[1] وضياء الدين بن الأثير (ت 637 هـ / 1237م)[2]0إذ كان لزاما على من

---

[1] (?) هو محمد بن محمد بن حامد بن محمد عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله المعروف بالاصفهاني نسبة الى المدينة التي ولد فيها سنة 519 هـ/ 1125م. قدم الى بغداد وانتظم في سلك المدرسة النظامية فتفقه بها، واتقن النحو والادب ثم اتصل بالوزير عون الدين بن هبيرة (ولد 544 – توفي 560 هـ/1119 – 1164م) فولاه النظر بواسط والبصرة وبعد وفاة الوزير تعست حاله، فسار الى دمشق واتصل بحاكمها الملك العادل نور الدين محمود (ت569هـ/1173م) فوكل اليه كِتابة الانشاء فيها سنة 563 هـ/ 1167م وبعد وفاة نور الدين سار الى مصر وتقرب من القاضي الفاضل وكتب في الديوان الى جانبه وللمزيد عن سيرته واعماله الكِتابية انظر كِتابهُ خريدة القصر وجريدة العصر، نشره احمد امين وشوقي ضيف واحسان عباس، ط1 (القاهرة: مط لجنة التاليف والترجمة والنشر، 1951م)، ص3؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، جـ19، ص11؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، جـ2، ص132؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، جـ4، ص97؛ المقريزي، الخطط، جـ3، ص29؛ السيوطي، حسن المحاظره، جـ1، ص325؛ ابن العماد، شذرات الذهب، جـ4، ص232وكذاك عبد اللطيف حمزة، ادب الحروب الصليبية، ص ص187 –190؛ محمد زغلول، ص ص209 – 216؛ احمد احمد بدوي، الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية، ص ص364 – 372.

[2] (?) هو ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري نسبة الى موقع نشاته في جزيرة ابن عمر بالموصل، وهو الاخ الاصغر لابن الاثير الشهير، عاصر ضياء الدين اثناء تلقيه العلم على يد عدد من الادباء الكبار وعلماء اللغة امثال ابن الدهان يحيى بن سعد (ت616هـ/1219م) وعلي بن خليفة النحوي(ت563 هـ/1167 م) والشاعر محمد بن دانيال (ت 608 هـ/1209م) وشميم الحلي (ت601 هـ/1204م)، رحل الى الشام والتقى بالسلطان صلاح الدين الايوبي سنة 587 هـ/1191م ولقي القاضي الفاضل وضمه الى خدمة السلطان في ديوانه وكان رجل طموح وصل الى خدمة السلطان الملك الافضل ابن صلاح الدين فتمكن منه لصغر سنه حتى كان وزيره وكاتبه وصاحب الحل والعقد في دمشق. للمزيد عن سيرته واثاره الادبية انظر ابو شامة المقدسي، الروضتين، جـ1، ص98؛ ابن خلكان، وفيات

يتـولى رئاسة الـديوان ان يكـون قـديرا في هـذا الفن، والسـير على اسلوب القاضي الفاضل، ولاسيما وان اغلب مكاتبات الأيوبيين كـانت توجه الى مقـــام الخلافة العباســـية لـــتزف اليها بشـــائر النصر على العـدو،او قد تصف لمقامه بلاء الخـبر في الحـرب، فكـانت الرسـالة تتسم في عهد الأيوبـــيين بالجزالة باللفظ، والفخامة في المعـنى وما يتفق بفخامة رتبة الممـــدوح وهو الســـلطان او الخليفة وبما يتفق مع موضوع الرسالة0

ويورد ابن شيث أحد كُتّـاب الدولة الايوبية صـورة ما كـان يُكتب او يُخاطب في مكاتباتهم عن السلطان، فقد كان يُخـاطب الســلطان **(بــالمجلس)** او **(المقــام)** ثم افــردوا له فيما بعد **(المقــام)** او **(المقر)** واصــبح **(المجلس)** او **(الحضـره)** لمن دونه من الامـراء واضـاف اليه لفظة **(الســامي والســام بــدون يــاء)** و**(العـالي)** لتضاف في مخاطبات المقام الخاص بالسـلطان[1]، ثم يفـرد النسب بعد الســامي فيقــول: **(الأمــير الأجّــل)** ويضــيف نعت كل أمــير: **(عمدة الملوك والسلاطين عز الاسلام، او نصـرة الاسـلام او فــارس المســلمين)**[2] ولأقـــارب الســـلطان يقـــول: **(فخر الملوك، او جمال الملوك، او عزالملـوك، او معين الملـوك او نصــرة الملــوك)** ولكبــار الامــراء الاعيــان: **(حســام امــير المؤمنين وسيف امير المؤمنين)، و**يُخاطب كبـار رجـال الدولة من الكُتّاب**:(خاصة امير المؤمـنين، او ولي امـير المؤمـنين،**

---

الاعيان، جـ 5، ص26؛ ابو الفداء، المختصر، جـ3، ص88؛ ابن كثير، البداية والنهاية، جــ 13، ص ص19، 114 وكـذلك محمد زغلـول، الادب في العصر الايوبي، ص ص222 – 228.

(1) معالم الكِتابة، ص35؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ 7، ص19.

(2) ابن شيث، معالم الكِتابة، ص36؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جــ 7، ص 19.

**او صفوة امير المؤمنين، او صنيعة امير المؤمنين)**[3]، هـذا مع مراعاة مقدار رتبة كل واحد منهم، ويضاف بعد السـامي والعـالي والامير والقاضي نعت اخر هو الأجّل: **(العالي الأجّل، او السامي الأجّل والامـير الأجّـل، والقاضي الأجّـل)**[4]0وكـانوا يخـاطبون وزراءهم: **(بـالمجلس او بالجنــاب،او الحضــرة)،** ثم في أواخر العصر الايـــوبي اصـــطلح على مخاطبة الـــوزراء في المكاتبـــات**: (الجناب العالي او المحل السامي)** ومن دونهم من الـوزراء اي اقل رتبة من الاول يقـــــول: **(المجلس الســـــامي)** ومن دونهم**: (مجلس الحضرة)** ثم **(الحضر)** ثم **(حضرة مولاي)**[5]0

أستعمل صلاح الدين الايوبي ومن خلفه من ابناء البيت الأيــوبي في مكاتباتهم مع الدولة العباسـية: **(بالديوان او الـديوان العزيز او الديوان الشـريف النبـوي او المواقف الشـريفة النبوية او الجنــاب الشــريف او الدولة العباســية الهادية او دولة الديوان العزيز النبوي.... )** [1] ويترجم السلطان عن نفسه بهـذه المكاتبات **(بالخادم او المملوك)**[2]0

أما عن طريقة كِتابة مكاتبـات الملـوك الصـادرة عن سـلاطين الايوبيين فقد كانت تفتتح بدعاء مطـول مثل**:(ادام اللـه...) (وخلد الله سلطانه...)** وما اشبه بذلك، ثم يعقبها التحميد، وقد يكرر اكثر من مرة للدلالة على عظمة المكتوب، ثم يـؤتي بالشـهادتين ويصـلي على النـــبي (ﷺ)،وقد يُكتب في الكتُب الســـلطانية **(صـــدرت أو**

---

3) ابن شيث، معالم الكِتابة، ص ص34–40؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ 7، ص ص19–20**.**

4) القلقشندي، صبح الاعشى، جـ7، ص20.

5) ابن شيث، معالم الكِتابة، ص 36؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ 7، ص20

1 (?)ابن شيث، معالم الكِتابة، ص36؛ ضياء الدين بن الاثير، المثل السائر، جـ 1، ص86؛ ابو شامة المقدسي، الروضتين، جـ 1، ص ص254، 344.

2 (?) ابو شامة المقدسي، الروضتين، جـ1، ص344؛ ضياء الدين بن الاثير، جـ 1، ص16 وانظر حسن الباشا، الالقاب الاسلامية، ص ص82 – 86.

**اصــدرناها)،**اي يضـــمها نـــون الجمع للدلالة على العظمـــة،[3] أو باضافتها هنا، للدلالة على تصـريحه بالضـمير العائد وهو السـلطان او الرئيس، ولا يكتب السلطان بـدعاءه **(لازال ولا برح)** إلا ان يكــون الكِتاب عنه الى مثله من الملـوك او عنه الى ولـده اذا كـان نائبا عنه في الملك[2]، وللوقـوف على كل هـذه الرسـوم نـراه في نص كِتـاب عن السلطان صلاح الدين الايـوبي الى اخيه سـيف الاسـلام سـلطان اليمن تـوران شـاه (ت 576هـ/ 1180م)[3] يطلب فيه معونته لقتـال الفرنجة ويبشـره بفتح كـوكب وصـفد والكـرك سـنة 584هـ/1188م بخط كاتبه القاضي الفاضل[4]0وكتب ايضـاً عمـاد الـدين الاصـفهاني وضياء الـدين بن الاثـير،الى ديـوان الخلافة العباسـية ببغـداد يُبشـران فيها بفتوحـات صـلاح الـدين في الشـام، فكـانت صـورة لما ورد في وجوب رسم كُتب سلاطين الأيوبيين[5]0

## المبحث الثالث
## طبيعة المكاتبات في مصر والشام في عصر دولتي المماليك

ان الرسوم الديوانية في مصر في عهد الفاطميين لم تكن بهذا التفصيل التي كانت عليها ايام الأيوبيين، إذ اخضعوها الى قيود جديدة

---

1 (?) ابن شيث، معلم الكِتابة، ص ص36 – 37؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ7، ص20 وانظر محمود مصطفى، الادب العربي في مصر، ص305.

2 (?) ابن شيث، معالم الكِتابة، ص ص37 – 38؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ7، ص20.

3 (?) السـلطان الاكـبر الملك المعظم تـوران شـاه بن ايـوب، صـاحب البلاد اليمنيـة، جمع فيها امـوالا عظيمـة، وفد على اخيه صـلاح الـدين وحضر معه غزوات كثـير ومواقف حسـنه، ثم ارسـله اخـوه إلى الإسـكندرية حيث تـوفي فيهـا، ثم نقلته اخته ست الشـام بنت ايـوب إلى دمشق فدفنته بتربتها الـتي في الشـامية البرانية وتعـرف ايضا بالحسـامية. أنظر العيـني، السـيف المهند في سـيرة الملك المؤيد شـيخ المحمـودي، تحق فهيم محمد شـلتوت، ط1 (القـاهرة: مط دار الكـاتب العـربي للطباعة والنشـر، 1966-ـ 1967م)، ص 189؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ5، ص 576؛ ابن العماد، شذرات الذهب، جـ4، ص ص255-256.

4 (?) ابو شامة المقدسي، الروضتين، جــ 2، ص196و جــ 2، ص ص136 – 138؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ7، ص ص23-27.

5 (?) ابو شامة المقدسـي، الروضـتين، جــ1، ص196 وجــ2، ص ص166 – 198.

وقواعد رصينة تأصلت في مصر، إلا ان هذه الرسوم لم تكن شيئاً إذا ما قورنت بالرسوم الديوانية ايام دولتي المماليك، إذ انتهت فيها هذه الرسوم إلى ان الالقاب او النعوت التي منحها سلاطينهم الى موظفيهم من رجال الدولة متباينة، فكانت القاب والي الغربية غيرها عند والي الشرقية، وما يُقال لنائب الوجه البحري غير ما يقال لنائب الوجه القبلي0من اجل هذا احتاج المماليك الى كاتب يجمع هذه المصطلحات الجديدة، ويكون المرجع الذي يعود اليه الكاتب عند خطاب كل مخاطب فلا يتعدى على رسم وضع او ينقص فيه او حتى يزيد0

ان الرسالة الديوانية في عصر المماليك تعدّ وثيقة رسمية تسجل سيرة وحياة السلاطين، وتُقدم وصفاً لها، فلا بد من الاشارة الى الوان هذه الرسائل حتى نقف على مدى اهميتها في تأدية حاجيات الدولة، وتقرير قواعدها السياسية والإدارية. فمن الرسائل الديوانية التي تناولت شؤون الدولة وأمور السلطان في الداخل والخارج ما شملت بيعات الخلفاء وتقاليد الملوك وولاة العهود ومراسيم إسناد الوزارة والنيابة والقيادة والقضاة والتعليم والخطابة وغير ذلك من شؤون ادارة الدولة، والتوقيعات وبلاغات القصر والمنشورات السياسية والاقتصادية وغيرها من نسخ الامان والايمان وكِتابة التقارير وشؤون السفارات بين ملوك الاسلام وبينهم وبين ملوك الفرنج، فضلاً عن كُتب المعاهدات والهُدن وكُتب الصداق والبشارات0

ظهر في عهد سلاطين المماليك البحرية طبقة من الكُتّاب والأدباء الذين اشتهروا بالكِتابة النثرية والترسل الأدبي، ورأسوا ديوان كاتب السر فيها وأسسوا او وضعوا لمخاطبات الديوان

ومراســلاته قواعد وأصــول جديــدة، ادق مما كــانت عليه في عهد الأيوبــيين على أســاس دولة المماليك دولة مدنية إدارية - عســكرية اهتمت بشؤونها الداخلية الادارية قبل الخارجية العسـكرية، وبـرز في هذا العهد الذي عُرف عنه بأنه عهد الثقافة والادب، من شيوخ ديـوان كاتب السر صدور كبار من الادباء الكُتّاب، امثال محي الدين ابن عبد الظاهر(ت 692 هـ / 1262م)، وعلاء الـدين بن الاثـير (ت730 هـ / 1329 م) وابن فضل الله العمــري (ت 749هـــ / 1348م)، ومحمد بن محمد نـاظر الجيش (ت 786هـ/1384م) الـذين وضـعوا اصـول الخطابة والكِتابة، والـتي اسـتمرت نتاجـاتهم الـتي ورثها عنهم كُتّـاب ديــوان السر لســلاطين المماليك البرجية وحــافظوا عليها واهتمــوا بدراستها رغبةً في التقـرب من السـلطان والمحافظة على منصـبهم في ديوان كاتب السر بمصر او الشام0

ومن البديهي ان من انواع الرسائل، او المكاتبـات الديوانية هي أولا الرسائل **الملوكية** الـتي كـانت تكتب عن السـلطان الى ملـوك وسـلاطين البلـدان المجـاورة وخلفـائهم في امر ذي بـال،فقد تكـون تهديـداً او رداً على تهديد او اعلام بغـزو او ايـذانً بتحـرك عـدو،وقد تكون تخص اجابة لمعونة، او عرضـاً لقضـية او فضـاً لمشـكلة ما، او شكر عن هدية او تعزية، او غير ذلك من الامور الـتي يبـادر بها او يرُد عنها0واول انواع رسائل السلطان المملوكي رسائل الفتح، وتعـدّ من أعظم رسائله وأجّلها وتفتتح بما تفتتح به جميع المكاتبات والرســائل، لكنه يوسع فيها مثل رسـالة من انشـاء محي الـدين ابن عبد الظـاهر عن السلطان الظاهر بيبرس الى وزير السلطان الصاحب بهاء الدين بن حنا (ت 677 هـ / 1278م)[1] عن اخبـار فتح السـلطان بيـبرس

1 ) ) هو بهاء الدين علي بن عمر بن سليم بن حنا، عينه السلطان الظاهر بيبرس وزيرا سنة 659هـ/ 1261، توفي في شهر ذي القعدة. أنظر

لقيسـارية[2] من بلاد الشـام[2]، وانشأ رسـالة ثانية الى بيموند احد امـراء الشـام بفتح انطاكية وما اصـاب طـرابلس من دمـار وخـراب [3]0ورسالة اخرى من إنشاء القاضي تاج الدين البارنباري نائب كاتب السر في ذلك الوقت تتضمن ما كان في رحلة صيد السلطان الناصر محمد بن قلاوون اورد لنا نصـها القلقشـندي[4] وهي نـوع اخر من رسائل السلطان**0**

ومن الرسائل التي ارتبطت بمكاتبات السـلطان هي رسـائل او مكاتبـات تكتب بمـوجب تقرير **هدنة** بين السـلطان واحد اعدائه، او بينه وبين حكام من امراء الأقاليم، وغالبـاً يكتب بعد البسـملة**:** (**هذا ما هـادى عليه مولانا السـلطان فلان خلد الله سـلطانه وشـرف به زمانه الملك فلان الفلاني... والسـاري هدنة مدتها لأول تاريخ هذه الساعة الراهنة وما يتلوها مدة كـذا وكـذا ولهم عـادة ان يحسـبوها مـدة سـنين شمسـية...)**[5]. ورسمها ايضاً بعد البسملة**:(هذه هدنة استقرت بين السـلطان فلان والسلطان فلان....)** وتقرأ هذه الهدن على مسامع الاشهاد من الاعيـان ومثل هـذه مهادنة اوردها لنا القلقشـندي عقـدت بين السـلطان الظـاهر بيـبرس وولـده الملك السـعيد بركة خـان وبين الأسبتار، وهو احد امراء الشام الصليبيين سنة 665هـ / 1266م[6]0

---

المقريزي، السلوك، جـ1، ص ص447، 643، 649؛ أبن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ7، ص ص285؛ أبن العماد، شذرات الذهب، جـ5، ص 358.

1 (?) بلدة على ساحل بحر الشام تعد من فلسطين. البغدادي، مراصد الاطلاع، جـ3، ص1138.

2 (?) القلقشندي، صبح الاعشى، جـ14، ص ص 139– 164.

3 (?) المقريزي، السلوك، جـ1، ص ص567 – 570.

4 (?) صبح الاعشى، جـ 14، ص ص165 – 172.

5 (?) العمري، التعريف، ص 167-169؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ14، ص ص 29 – 31.

6 (?) القلقشندي، صبح الاعشى، جـ14،ص ص42 – 49.

ومن ممـــيزات هــذه المكاتبة تكــون محشــوة بأســماء البلاد والامـــاكن الــتي تمت المهادنة عليها، وقد ارتبطت بهــذا المحتــوى اليمين، وتُكتب بـألوان القسم الاسـلامية اذا كـان القسم مسـلماً او بألوان القسم المسـيحية ويحلف قاسـمها بالوفـاء على ما عاهد عليه بالمهادنة[1]، وكان يُكتب اليمين عند توليه سلطان جديد او عند تسلم موظف لمهـام عمله من النـواب او الـوزراء والكُتّـاب وبـاقي اربـاب التصـرف في الامــوال، وكـان يتخللها حلفـان او قسم بعـدم الخيانة والحكم بأمر الله تعـالى واتبـاع سـنته والعمل على طاعة السـلطان، ثم يختمه بكِتابة اســـمه **(اسم الحـــالف)** بخطه او بخط من يكتب عنه[2]0 فضـــــلاً عن حلف بيمين يؤخذ عن اهل الذمة من اليهـــــود والنصارى وغيرهم من اهل البدع والخارجين[3]0

اما **المفاسخات** وتعـني نقض العهـود والمواثيق وقد ارتبطت أيضا بهــدن الســلطان بأعتبارها رســائل كتبت لفض هدنة كـانت بين الســـلطان واحد اعدائه، ورســـمها على ما جـــاء به ابن فضل الله العمري**:(هذا ما اختاره فلان وفلان من فسخ ما كان بينهما من المهادنة الــتي هي آخر مــدة كــذا...وقد اشــهد عليها بــذلك الله وخلقه ومن حضر ومن ســمع ونظر وكـان ذلك في تـاريخ كـذا،ثم يختمه بالـدعاء، والله الموفق والهـادي الى طريق الحق )**[4]0

اما اذا كـان فض هـذه الهدنة من احد طـرفي المتهـادنين الـتي يبعثها على ألسنة الرسل ويدون فيها أسباب نقض الهدنة وسمي هذا

1 (?) العمري، التعريف، ص ص 168 –170.
2 (?) المصدر نفسه ص ص 146 – 151.
3 (?) العمري، التعريف، ص ص 151-164.
4 (?) التعريف، ص 171.

النـوع من الكُتب بالفسخ ورسـمها بعد البسـملة:**(هـذا ما اسـتخار الله تعــالى فيه فلان تــبين له....فسخ فيها على فلان ما كـان بينه وبينه من المهادنة...وحل المعاقـدة الـتي كـانت يشد بعضها ببعض وهي كـذا وكـذا وتـذكر وتعد...)**[1]، ويقـرأ ايضاً على رؤوس الاشهاد0

قبل الخــوض في النــوع الثــاني من الرســائل او المكاتبــات الديوانية لا بد من ان نشـير وبصـورة مختصـرة الى طبيعة الرسـائل الملوكية او السلطانية والجهات التي كان يخاطبها، وقد قسـمت الى مكاتبات خاصة بخلفائهم العباسيين ومكاتبات النواب والـولاة واربـاب الوظائف وحتى مكاتبات البلاد المجاورة لمصر.

ويخاطب في المكاتبات الـتي كـان يكتبها السـلطان الى خلفـاء بني العباس وتحريره**: (ادام الله ايام الـديوان العزيز المـولي السيدي النبـوي الامـامي الفلاني)** او**(ادام الله سـلطان او خلد الله سلطان الديوان العزيز...)**[2]، ويخـاطب الخليفة بـأمير المؤمنين مجردة عن سيدنا ومرة غير مجردة والعلامة اليه **( الخادم يخدم تلك العتبـات الشـريفة او الخـادم يقبل الارض...)** ثم ينهي الكتاب بالدعاء[3]، إذ يجب ان تكـون مطابقة لما تقتضـيه الحالة ممن يقبل الارض0

والملاحظ ان مكاتبــات الســلاطين المماليك الى خلفــائهم العباســيين قليلة، لأنهم يسـكنون إلى جــوارهم في مصر منذ احيائها

---

[1] (?) المصدر نفسـه، ص 172؛ القلقشـندي، صـبح الاعشى، جــ 14، ص ص 108 – 109.

[2] (?) العمـري، التعريف، ص5-10؛ محمد بن محمد بن نـاظرالجيش، التثقيف على التعريف، ص10-15؛ القلقشندي، صـبح الاعشى، جــ7، ص ص 119-130.

[3] (?) العمـري، التعريف، ص 5-10؛ محمد بن محمد، التثقيف، ص ص10-15؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ7، ص 130.

للمـرة الثانية، ولكن نـرى رسـالة الى احمد بن ابي الربيع سليمان ( 701-740هـ/ 1302-1340م)، احد الخلفاء العباسـيين في مصر عن رماة البندق[1] بالشام جواباً على ما ورد عليه من كِتابهم[2].

ويُشـــير المقر الشـــهابي ابن فضل الله ان رسم مكاتبة ولاة العهد بالخلافة يكـــون: **(ضـــاعف الله تعـــالى جلال الجـــانب الشريف المـولى السـيدي النبـوي الفلاني)**، بحسب ما كـان عليه في عهد الأيوبيين ثم الدعاء والخطاب له بمولانا وسيدنا بالتعبير عنه: **(الخـادم يقبل العتبـات الشـريفة او اليد الشـريفة)،** فالعلامة اليه الخادم والعنوان الجانب الشريف او الجناب الشـريف[3] وغيرها0

أما إذا كان الكِتاب خاصاً بنـائب السـلطنة في مصر، فقد تعـدد فيها النـواب، واختلفت مـراتبهم، فكـان لا بد من ان تختلف فيه رسم كتبهم وما يسـتحقه كل واحد منهم من المكاتبـات**0** ولقد مُنح النـائب في مصر لقب من السلطان ليخاطبه به فكان يعرف **(بالجناب)**، او **(بـالمقر)**، وقد كتب لقبـه **(الامـيري)**، والعلامة له اخـوه وتعريفه **(كافل الممالك الاســـلامية اعلاها الله تعـــالى)**[4]، ورسم مكاتبة الوجه القبلي**:(ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالي)** ولا يقـــال فيه **(الكـــافلي)** كما في نـــائب مصر والعلامة الشـــريفة **(والده)** وتعريفه نائب السـلطنة الشـريفة بالوجه**(القبلي)**، ونفس

---

[1] (?) كُتل من الطين تكون كالبندق ثم تجفف بالشمس او تشوى على النار وتوضع في وسط وتر القوس. دهمان، معجم الالفاظ التاريخية، ص38.
[2] (?) القلقشندي، صبح الاعشى، جـ7، ص ص130-134
[3] (?) العمري، التعريف، ص ص10-11؛ محمد بن محمد، التثقيف، ص ص20-25؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ7، ص ص 134-137؛ نفسه، مآثر الاناقة، ص ص322-323
[4] (?) العمـــري، التعريف، ص ص 65-68؛ محمد بن محمد، التثقيف، ص ص 26-28**.**

الرسم لنائب الوجه البحري،عـدا ان العلامة فيه **(اخوه)**[5]0 وكـانت هذه المكاتبـات لا تكتب إلا إذا كـان السـلطان مسـافراً في غـزوة او سرحة للصيد. وكان يكاتب الوزراء **(بالجـانب العـالي أو الجنـاب العالي)** ولكاتب السر ونـاظر الجيش، ونـاظر الدولـة، وكـاتب السر بالشـــــام **(المجلس العـــــالي)**، على نحو: **(ادام الله نعمة المجلس العـالي)** والعلامة **(أخــوه)** وتعريفه **(صــاحب دواوين الانشــاء الشــريف بالممالك الاســلامية المحروسة )** وكتب للناظر نفسه، مع الاختلاف في العلامة وكــانت **( الاسم )** والتعريف **( ناظر الخواص الشريفة )**[2]0

وهنـاك مكاتبـات لـولاة الوجه القبلي والوجه البحـري ورسـمها: **(هذه المكاتبة الى المجلس السامي)** والى كل ولاة العشـرات منهم: **(بعلم مجلس الامـــــير)** والعلامة لكل من الطبلخانـــــات والعشرات الاسم الشريف وتعريفه**(والي فلان)**[3] 0

ومن مكاتبـــات الســـلطان ايضـــاً الـــتي كـــانت تُكتب عنه الى الممالك الشامية في دمشق وحلب وحماة وطرابلس وصفد والكرك الى نوابها وارباب وظائفها،وقد سارت على نفس اسـلوب مكاتبـاتهم في مصر[4]0فضلاً عن مكاتبات السلطان المملوكي الى ملوك خارج حــدود مملكته من المشــرق والمغــرب مثل الايلخــانيين والتيموريين والتركمان، وكان لكل منهم رسم خاص به للمكاتبة[5]0

---

1 (?) العمـــري، التعريـــف، ص ص65-68؛ محمد بن محمـــد، ص26-28؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ7، ص156.
2 (?) العمري، التعريف، ص74-78؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جــ7، ص ص 163-165.
3 (?) العمري، التعريف، ص 74؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ7، ص ص 15 8-159.
4 (?) العمري، التعريف، ص68؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ7، ص ص168-184.
5 (?) العمري، التعريف، ص ص20، 22، 24، 26-65؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ7، ص ص243-332.

وبصورة عامة فأن كُتب الملوك، او كُتب السـلطان المملـوكي، مختلفة الألفاظ الفصـيحة والجزلة والإطالة القاضـية بإشـباع المعـنى ووصــوله إلى إفهــام كافة ســامعيه من الخــواص من اهل دولته، او العوام من البلاد المجاورة للسلطنة من العرب والعجم0وهذه عكس ما جـاءت به كُتب الخــراج وامــور المعـاملات والحســاب من اللفظ الفصـيح لأنها مبنية على تمثيل ما يعمل عليه وافهـام من لا يصل اليه المعـنى الى فهمــه،الى البيــان الشــافي في العبــارة، ومنها مخاطبة السلطان عن نفسه فيجب مخاطبته على قدر مكانته من الخدمة في الالفاظ المتوسطة0

النــــوع الثــــاني من المكاتبــــات الديوانية هي كُتب **العهــــود والمبايعـــات**، متمثلة بكُتب مبايعة الخلفـــاء للســـلاطين، وعهـــود الســلاطين لــولاة عهــودهم0 وقد قســمها ابن فضل العمــري الى: **(عهـود لا تكـون إلا للخلفـاء عن الخلفـاء او الملـوك، ولا يكـون إلا عن الخلفـاء او الملـوك، ويكتب لـولاة العهد عن المستقلين وأما من قـــام من الخلفـــاء بغـــير عهد ممن تقـدم،فأنما يكتب مبايعـة)**[(1)]0ومن هـذا النص نفهم ان العهد ما هو إلا رســالة ديوانية تصــدر عن الخليفة او الســلطان الى من وقع عليه الاختيـــار من ابيه او اخيه او حـــتى لغـــريب لولاية الخلافة او الســلطنة من بعــده، فيما تعــني المبايعة الرســالة الــتي تُكتب الى الخليفة او السـلطان عند قيامه لأول مـرة بأعبـاء منصـبه السـلطاني 0وبسبب طبيعة هذه المناسبات، كـان يقـوم لصـاحب العهد او البيعة حفلاً كبيراً يحضره رجال الدولة، ومن ثم يكتب بخبره هذا الى بــاقي اقـاليم الســلطنة لأخذ البيعة له منهم[(2)]0ونــذكر منها الاحتفـال الــذي

**1)** التعريف، ص23؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ8، ص 25.
2) السيوطي، حسن المحاضرة، جـ 2، ص 95.

كان يقـام بعد قيـام سـلاطين مصر بتفـويض خلفـاء مصر العباسـيين بالسلطنة لهم0

وان مثل هــذه الكُتب تبــدأ عــادة بالخطبة، وفيها:**(الحمد لله والثناء عليه والصلاة على الرســول (ﷺ))**، وبيــان جلال وعظمة الســلطنة وما ينبغي لشــاغلها من صــفات كريمة ومنــاقب حميــدة، وفيها: **(يثني على ولي العهد وحكمة تنصيبه ثم يبين حــدود مملكته الـتي صـار ولي عهد فيها حـتى إذا عين ذلك وبينه اوصاه بما يناسب المقـام من وصـايا)** فيوصـيه برعاية العـدل وحماية الدين وانصاف بالرعية وقطع لـدابر الفسـاد[(3)]0وكـانت عـادة الســلاطين عند كِتابة عهد الإكثــار من التحميد لله لبيــان عظم وقــدر النعمة ورسمه: **(هذا ما عهد به عبد الله ووليه فلان ابو فلان الامام الفلاني امير المؤمنين، عهد الى ولــده او الى اخيه الامير الســيد الجليل ذخـيرة الـدين وولي عهد المســلمين ابي فلان ايـده الله بـالتمكين وامـده بالنصر المـبين... ثم يقول اما بعد فأن امـير المؤمـنين يحمد اليك الله الـذي لا اله الا هو ويصـلي على نبيه سـيدنا محمد.... ثم يـأتي بما يناسب من القــــول ووصف فكر الــــذي يعهد فيمن بعد ويصف المعهـود بما يليق من الصـفات،ثم يقـول عهد اليه وقلده.... المعهود اليه قبل منه)**[(1)]0مثل ما كتبه شـهاب الـدين ابو الثناء محمود الحلـبي (ت 725 هــ / 1324م) عهد الملك العـادل كتبغا عن الحـاكم بـأمر الله العباسي (661 – 701هــ / 1263 –

---

(3) العمري، التعريف، ص ص 84 – 85؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ10، ص ص8–20؛ نفسه، مآثر الاناقة، ص ص 99 – 111.

**(1)** العمري، التعريف، ص ص54 – 85؛ القلقشندي، صبح الأعشى، جـ10، ص ص 8 – 20.

1302م)[2]0  وكتب ايضاً عهد الملك المنصور حسام الدين لاجين عن المستكفي بالله العباسي (701–740هـ / 1302 –1340م)[3]0

وكان يلقب الخلفاء السلاطين في كُتب العهود (**السلطان السيد الأجّل الملك الفلاني العادل )** الى بقية الالقاب التي يراعي فيها المناسبة والمقاربة ولا يجوز ان يكتب له القاب إلا ما كان يلقب به من ديوان الخلافة بالنص من غير زيادة ولا نقصان[4]0وما يكتب عن الملوك او السلاطين لأولياء عهودهم والمفردين بصغار البلاد فيكتب لهم **( المقام الشريف او الكريم او العالي مجردة عنهما ويقتصر على المفردة دون المركبة)**[5]0وهذا ما نراه جلياً في عهد السلطان المنصور قلاوون (ت689هـ/1290م) لولده الصالح علاء الدين علي (ت 4 شعبان سنة 687هـ / 1288م)[6]**0**

أما عن كُتب **المبايعات** فهناك ما كتُب عن الخلفاء للسلاطين او قد تُكتب بالعكس عن السلاطين للخلفاء، وما قد يُكتب في الحالتين رسمه يبدأ بالحمد والثناء لله تعالى وثم الصلاة على الرسول () يليها وصف المخاطب**(بالمقام، العالي، المولي، السلطاني، الملكي الظاهري)،** اذا كانت بيعة للسلطان المملوكي، وتتخلل هذه المبايعات المدح والدعاء، وفي ذلك مثلاً بيعة الخليفة العباسي المستنصر بالله أول خلفاء بني العباس في

---

**2)** القلقشندي، صبح الاعشى، جـ1، ص 47.
**3)** المصدر نفسه، جـ10، ص 53.
4) العمري، التعريف، ص86؛ القلقشندي، صبح الأعشى، جـ1، ص 46.
5) العمري، التعريف، ص 87.
6) ابن عبد الظاهر، تشريف الايام، ص200 –203؛ ابن الفرات، تاريخ، جـ7، ص ص187–190؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ10، ص ص173 – 174.

مصر (659 –660هـــ /1261–1262م) للملك السلطان الظاهر بيبرس سنة 659هـ / 1260م[1]0وكذلك بيعة الخليفة الحاكم بأمر الله ثاني الخلفاء العباسيين (661 –701هـــ / 1263-1302م) للسلطان المنصور قلاوون سنة 678هـ/1279م من انشاء محي الدين ابن عبد الظاهر[2]0ولقد بايع السلطان الناصر محمد الخليفة العباسي المستكفي بالله (701– 740هـ/1302– 1340م) سنة 701هـ/1301م[3]0

والنوع الثالث من المكاتبات والرسائل الديوانية هي رسائل **التقاليد والتواقيع والمناشير والمراسيم والمساميح** بالتتابع. فالتقاليد هي من اهم الرسائل الديوانية، وتعني امر تعيين يصدره ديوان كاتب السر بمصر او ديوان الانشاء بالممالك الاسلامية الشريفة من السلطان الى كبار رجال السلطنة وتُكتب بخط صاحب الديوان او أحد كُتّابه الممتازين[4]0وتأتي اهمية هذه الرسائل او المكاتبات الى حاجة السلطنة المستمرة لموظفيها لكثرة ما كانوا يتعرضون له من عزل وتعيين، وهذه التقاليد كانت تُكتب للوزراء والنواب وصاحب الانشاء وكاتب السر حتى ان أبن فضل الله العمري حصرها في قوله: **(لكفلاء الملك كأكابر النواب والوزراء ومن كان في معناها وقد يكون لأكابر قضاة القضاة )**[5]0

---

1) المقريزي، السلوك، جـ1، ص453؛ السيوطي، حسن المحاضرة، جـ 2، ص 49.
2) القلقشندي، صبح الاعشى، جـ10، ص 117؛ السيوطي، حسن المحاضرة، جـ 2، ص 80.
**3)** السيوطي، حسن المحاضرة، جـ 2، ص 59.
4) المصدر نفسه، ص 128.
5) التعريف، ص 84.

وتستفتح بالخطب وبالحمد لله، ثم يقـال بعـدها اما بعد، ويـذكر حـال الولاية، وحـال المـولى وحسن الفكر فيمن يصـلح، ويقـول بعد ذلك في رسـمه **(رسم بـالامر الشـريف العـالي، المـولى السلطاني الملكي الفلاني)** ويدعى له ان يقلد كذا بوصـية وينبه بتقوى الله تعـالى0 ويختم التقليد بالـدعاء للمـولي بالاعانة والتأييد او مزيد من التوفيق، وفي عنوانها يُكتب **(تقليد شريف لفلان بكذا)** 0[1]

ولقد اتســـمت فقـــرات كُتب التقليد بالاطالة بالتحميد بالله والمبالغة في التصـوير والاطنـاب والتفصـيل في ذكر اهم صـفات ومؤهلات صاحب التقليد والتي كانت السبب في اختيـار السـلطان له لشـغل منصـبه هـذا،وفيه يحـدد اختصاصـاته لأداء عمله مع جملة من الوصـايا بما يناسب ذلك التقليد[2]، على نحو تقليد بهـاء الـدين بن حنا (ت677هـ / 1278م) بـالوزارة عن لسـان السـلطان السـعيد بن بيـبرس سـنة 676هـ / 1277م بخط محي الـدين ابن عبد الظـاهر[3]0وتقليد صـادر الى كمـال الـدين البـارزي (ت 856 هـ / 1452م) بصحابة ديـوان الانشـاء بالقـاهرة عن السـلطان الاشـرف برسباي[4].

---

1 (?) العمري، التعريف، ص 87؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ 11، ص 106**.**

2 (?) الحلبي، حسن التوسل، ص 101؛ النويري، نهاية الارب، جـ 27، ص 202.

3 (?) ابن حجة، خزانة الادب، ص 425؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ10، ص ص270 – 272.

4 (?) كـانت القـاب كـاتب السر عنـدما يسـتقر ما يكتب له تقليـداً هي الجنـاب العالي، القاضوي، الكبـيري، العـالمي، العـادلي، العلامي، الافضـلي، الاكملي، البليغي، المسـددي، المنفـذي، المشـيدي، العـوني، المشـيري، اليميـني، السـفيري، الاصـلي، العـريقي، الفلاني، صـلاح الاسـلام والمسـلمين سـيد الرؤساء في العالمين قدوة العلماء العـاملين، جمـال البلغـاء، اوحد الفضـلاء، جلال الاصحاب، كهف الكتاب، يمين المملكة، لسـان السـلطنة، سـفير الامة، سليل الاكـابر، مشـير الملـوك والسـلاطين ولي امـير المؤمـنين فلان الفلاني

اما الكُتب التي يصـدرها ديـوان كـاتب السر عن السـلطان الى ارباب السيوف والاقلام وعامة الجماهير فتعرف بأسم كُتب التفويض والتوقيع والمناشير والمراسيم0والفرق في خطاباتها بسيط نوعاً ما، اذ اختص التفويض بتعيين القضاة كافة، والتوقيع للمـوظفين التـابعين لرؤساء الـدواوين،والمناشـير ما يكتب للامـراء والجند بما يجـري في ارزاقهم من ديوان الاقطاع، فيما اختصت كُتب المراسيم في صــغائر الامور الـتي لا تتعلق بولاية[1]0وهـذا الفـرق على قـول ابن فضل الله العمري: **(فهي لعامة القضاة يكون الواجب ان لا يسـمى ما يكتب لهم إلا تفـــويض، وتنحصر التواقيع لعامة اربـــاب الوظائف جليلها وحقيرها وكبيرها وصـغيرها، والمراسـيم ما يُكتب في صغار الامـور فيما تختص المراسـيم ما يكتبه للامراء والجند بما يجري في ارزاقهم من ديوان الاقطاع)** 0[2]

ان هـذه الكُتب او الرسـائل الديوانية اتصـفت ببسـاطة الكلام ويعتـــبر كثرته وقلته بحسب رتبته[3]، وتبـــدأ بخطبة، والتحميد لله إلا بعض الاختلاف في طريقة كِتابة كل واحدة منها0 فكُتب التفويض هي نمط من التقاليد غير انه يقال في تعريفها **(تفويض شريف لفلان بكذا)**، وتكـون اقصر من التقليد[4]0واما التواقيع فهي على ما كـانت عليه في التفـاويض، وقد يقـال فيها **(ان يفـوض او قد يقـال ان**

ضاعف الله تعالى نعمته. انظر القلقشندي، صبح الاعشى، جـ10، ص79.

[1] (?) النـويري، نهاية الارب، جــ7، ص ص 202 – 204؛ القلقشـندي، صـبح الاعشى، جـ10، ص ص105–114.

[2] (?) التعريف، ص ص64 – 78.

[3] (?) النويري، نهاية الارب، جـ 7، ص201.

[4] (?) العمري، التعريف، ص87؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ 10، ص ص 112 – 113.

**يـــرتب)**، ورسم التعريف فيها **(توقيع شـــريف لفلان بكـــذا)**[5]،وتستفتح **(بالحمد لله)** او قد يقول **(اما بعد حمد لله)** او **(اما بعد فـأن)** او **(ان اولى ما كـان كـذا)** او ما هـذا في معنـاه او **(رسم بـــالامر الشـــريف ويـــذكر القابه الممنوحة له من الـــديوان الســـلطاني، والحمد لله اكبرها ورسم بـــالامر الشريف اصغرها)**[2]0

ومن الامثلة لهذه الرسائل الديوانية التفويض الذي كُتب بقضـاء قضاة المالكية بالديار المصرية لجمال الـدين يوسف البسـاطي سـنة 807هــ/1404م[3]، وكتب توقيع بتعـيين شـهاب الـدين حكيم رئيسـاً للطب سنة 709هـ/1309م من انشاء شهاب الـدين محمـود الحلـبي (ت 725هـ/ 1324م)[4] 0

اما المراســيم فكــانت على نفس نمط كِتابة التقاليد والتواقيع مع بعض الاختلاف في الرسم، فكـــــان يُكتب في الصـــــدر بعد البسملة**(رسم بالامر الشريف العالي، المولي، السـلطاني، ...)**[5] ويـذكر اللقب الخـاص به ويـدعو له بما فيه براعة الاسـتهلال بــذكر الوظيفة او اسم صــاحبها او لقبه مثلاً **(ان يســتقر الامــير الأجّل او المجلس الســامي... لما له من كـذا وكـذا)**ويـأتي بصــفات المــدح بما يناسب المقــام ويقــول **( فليباشر ذلــك، او فليتلق ذلك او فليقابل صداقتنا الشريفة بكذا)**[6] ويكتب في تعريفه **( مرسوم شريف ان يسـتقر ... فلان في كـذا وكـذا**

---

1 (?) العمري، التعريف، ص87؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ10، ص 113.
2 (?) العمري، التعريف، ص ص87 – 88؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ11، ص ص114، 123، 125.
3 (?) القلقشندي، صبح الاعشى، جـ 11، ص ص189 – 193.
4 (?) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ11، ص ص380-383.
5 (?) العمري، التعريف، ص 88.
6 (?) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ 11، ص ص 108، 111.

**... )**، كما في مرسوم اصدره السلطان العادل كتبغا بأسناد التدريس في المدرسة الامينية بدمشق الى القاضي ابن خلكان سنة 679هــ / 1280م، وهو من انشـــاء كمـــال الـــدين احمد ابن العطـــار كـــاتب الدست[1]0

ان المناشـير كـانت تختلف في طريقة كِتابتها عمن سـبقها من الرسـائل، فيجب ان تكـون اولاً مختصـرة، وقصـيرة، ولا تحتـوي في طياتها على وصـايا ولا اطنـاب في مقاصد الكـاتب[2]. ثانيـاً لا يقـال رسم بالامر الشريف بل يكتب خـرج الامر الشـريف، سـواء كـان في اثناء المنشور او ابتدائه[3]0ولكن هذا الرسم يختلف بـأختلاف صـاحب المنشـــور فلمقـــدمي الجند يكتب**(خـــرج الامر الشـــريف)** ابتــداءً،ولــذوي الطبلخانــات[4] وادنــاه ممن له اربعــون طواشــياً[5] **(بالحمد للـه)**،ولـذوي العشـرات ومن لا يبلغ حد ادنى الطبلخانـات **(اما بعد حمد للـه)**[6]، ثم يكمل كـاتب الانشـاء الى ان ينتهي الى قوله ان يجـري في اقطاعه ويُكتب نص ما كتبه ديـوان الاقطـاع (أي ديوان الجيش)، فمثلاً ما كتبه محي الـدين ابن عبد الظـاهر منشـوراً عن لسـان السـلطان المنصـور قلاوون يمنح فيه ولـده الناصر محمد بعض الاقطاعات[7]0

---

1 (?) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، جـ 4، ص ص 37 – 39.
2 (?) العمري، التعريف، ص 88.
3 (?) المصدر نفسه، ص 89.
4 (?) هو الامير الذي يرقى إلى درجة يستحق بها أن تضرب بها الموسقى على بابـه، ويكـون أمـير اربعين، ويتـدرج في الزيـادة إلى ثمـانين، ويعـدّ امـير الطبلخانات في الدرجة الثانية بين الامـراء. دهمـان، معجم الالفـاظ التاريخية في العصر المملوكية، ص106.
5 (7) جمع طواشي، وهم المماليك الخصيان المعينون لخدمة بيوت السلطان وحرمهم. المصدر نفسه، ص 109 .
6 (?) العمري،التعريف، ص 89.
7 (?) العمري، التعريف، ص89؛ صبح الاعشى، جـ 13،ص ص 168 – 169.

ومن الرسائل الديوانية الاخرى كُتب البشـارات الـتي تُكتب في مناسـبات عـدة، سـعيدة كـدخول السـلطان الى احـدى الاقـاليم، او عودته الى الـديار المصـرية، او بشـارات لفتح جهـاداً في سـبيل الله وبشـارات بالنصر بفتح ارض جديـدة ونشر الاسـلام فيها،او قد تُكتب عند ولادة مولود جديد للسلطان، وعند فيضان النيل [1]، وكانت تُكتب بخط احد منشئي الديوان، ومن ثم تقـرأ على عامة النـاس في داخل البلاد المصرية، وقد ترسل لحكام البلاد النائية الموالية لها 0

ولقد اتصــفت هــذه البشــارات عمومــاً وبمختلف مناســباتها بالمبالغة في الوصف لحال هذه البشـارة، فمثلاً كتب تـاج الـدين ابن الأثــير (ت 691 هــ / 1291 م) بشـــارة الى صـــاحب اليمن عن الســلطان المنصــور قلاوون ســنة 678هــ/1279م يخــبره بفتح طرابلس[2]، وما كتبه محي الدين ابن عبد الظاهر عن السـلطان الى نائبه في حلب بوفاء النيل[3]0

وقد جــرت العــادة انه اذا تزوج ســلطان او احد اولاده او احد الامراء او اكابر اعيان السـلطنة فيكتب لهم صـداق، وهـذه رسـالة او مكاتبة تكتب بخط احد منشــئي الــديوان[4]، وتتصف هــذه المكاتبة بالحــديث عن الــزواج والنسل وبمــدائح تمــدح الــزوج والزوجة ووالـداهما، وعـادةً تبـدأ بالحمد وتنتهي في اعقابها اسم العاقد وولي الزوجة ثم ترد سطور صيغة الصداق وتبـدأ بالبسـملة وكلمة اصـدقها او هذا ما اصدق[5]، مثلاً ما كتبه محي الـدين ابن عبد الظـاهر بشـأن

---

1 (?) السيوطي، حسن المحاضرة، جـ 2، ص 212.
2 (?)المصدر نفسه ، ص 216.
3 (?) المصدر نفسه.
4 (?) القلقشندي، صبح الاعشى، جـ 14، ص 300.
5 (?)المصدر نفسه.

صــداق زواج السـلطان السـعيد بركة بن الظـاهر بيـبرس على بنت اتابكهِ الامـير سـيف الـدين قلاوون الصـالحي[1]، وصـداق ثـانٍ لـزواج جمال الدين عبد الله ابن سيف الدين ابي سـعيد، امـير حـاجب، على بنت الأمـــير بيـــدمر العمـــري، بخط شـــهاب الـــدين بن فضل الله العمري[2]0

اما الوصايا فكانت النصيحة التي يرسـلها الكـاتب خلال مكاتباته من مبايعة او تقليد او توقيع، وهي ليست نوعاً من الرسائل الديوانية لكنها بعض اغـراض المكاتبة وما يـدور خلالها، متمثلة بالحمد والثنـاء والصلاة على النبي ()، والدعاء والمديح الى غير ذلك 0 وقد اورد لنا شهاب الدين ابن فضل الله العمـري ما ينبغي ان يـذهب اليه الكـاتب من المعاني والنصائح بما يناسب وطبيعة الوظيفة واختصاصاتها[3]0

وكـانت الكُتب والرسـائل الـتي تُصـدر في الشـام من تقاليد ومراسـيم ومناشـير وحـتى التفـاويض تُكتب عن نـائب او كافل السـلطان المملـوكي بمصر في داخل ديـوان الشـام المحروسة او ديـوان حلب او بخط كـاتب درج الكـرك او صـفد. وقد اتصـفت رسم فقراتها كما في مكاتبات مصر[4]0

ان هــذه الرسـائل الديوانية بأنواعها من العهـود والمبايعـات والتقاليد والمراسـيم والمناشـير ورسـائل البشـارات وكُتب الصـداق، كـان يقف وراء تصـميمها وتحرير فقـرات محتواها كُتّـاب السر في السـلطنة المملوكية البحرية والبرجية متمثلاً في عقـود المبايعـات السلطانية والرسائل الديوانية للسلطان الظـاهر بيـبرس والسـلطان

---

1 (?) القلقشندي، صبح الاعشى، جـ14، ص300.
2 (?)المصدر نفسه، ص 311.
3 (?) التعريف، ص ص91 – 141.
4 (?) اورد لنا القلقشـندي في مصـنفه الكثـير من كتب او مكاتبـات ورسـائل خرجت من الديوان عن لسان النائب فيها. انظر جـ11، ص45 وما يليها.

المنصور قلاوون وولده الاشـرف خليل كتبها أو أشـرف على تحريرها كُتّـاب الدست في ديـوان ابن عبد الظـاهر مثلما يتضح في محتـوى العمـري والقلقشـندي، والمبايعـات والرسـائل السـلطانية في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون الـذي توالى على عهـده عـدد من الكتاب برزت مواهبهم وفاقت اسلافهم في صناعة الترسل كان على رأسـهم علاء الـدين بن الاثـير وشـهاب الـدين ابن سـليمان الحلـبي ومحي الدين ابن فضل الله0

اما سلاطين المماليك البرجية، فكتبَ للسلطان الظاهر برقـوق بــدر الــدين ابن فضل الله وهو ابن علاء الــدين علي، الابن الثــالث لمحي الـدين ابن فضل الله وخلفه كُتّـاب لم يعرفـوا من فن الكِتابة سوى الحفظ والتقليد لمن سبقهم من امثال فتح الـدين بن فتح الله ومحمد بن البارزي0

ان هــذه الرســائل بمحتواها تمثل وثــائق رســمية للدولة لها دلالاتها وقيمتها الادارية والسياسية والثقافية، واذا كـان معظمها يمثل خط كُتّـاب السر في السـلطنة البحرية وبأقل بكثـير من السـلطنة البرجية، إلا ان أي فحص لمحتواها يعكس بلا ريب وجــود مــدارس ادارية متنافسة تتمــيز فيما بينها في التحرير وفي ســبك العبــارات والتنظيم، مثل مدرسة ابن عبد الظــــاهر، وارث التقاليد الايوبية في هـذا الحقل، ومدرسة علاء الـدين بن الاثـير وابن فضل الله العمـري وغيرهم0

إلا ان الفرق بين المدرستين المصرية والشامية،من جهة اخرى كان ضـئيلاً لأن تـدريس وتـدريب كُتّـاب السر لمـوظفي الـديوان في الاقليمين كــان واحــداً،ولأنهم كثــيراً ما كــانوا ينقلــون من مراكز وظائفهم في الدست من مصر والشام واليهما0

وتــبرز اهمية هــذه الكُتب بمــدى اهمية وقيمة هــذه الرســائل والمكاتبات التي تجذب كُتّاب الانشـاء بالـديوان وخارجه لـرغبتهم في التقرب من السلطان من خلال إظهار كفـاءاتهم في فن المخاطبـات والكِتابة النثرية.